# الفصل الثاني
# أيام الشقاء والراحة

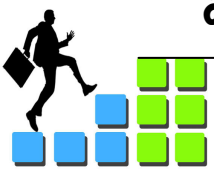

**البحث عن شعلة الأمل وسط ظلام اليأس:**

دخلت الصين في ثمانينيات القرن العشرين عصرًا جديدًا؛ فأصبح امتحان قبول الجامعة أفضل سبيل لتغيير حياة الشباب في الأرياف. وقد كان طريق طلب يو مين هونغ للعلم مليئًا بالمشقات والمصير المجهول؛ حيث إنه بعد تخرجه من المدرسة الإعدادية - وفقًا للأحكام المتعارف عليها - كان لابد أن يعود إلى الريف للقيام بأعمال الزراعة وقيادة الجرار.

في الوقت الذي كان يو مين هونغ يستمتع بالحياة الريفية البسيطة، كان القلق الشديد يسيطر على أمه؛ بسبب ضياع وقته الثمين الذي كان يجب أن يقضيه في الدراسة. وفي عام 1978 - بسبب جهود أمه - عاد يو مين هونغ مجددا إلى حجرة الدرس، وبدأ يتعمق في الدراسة مرة أخرى.

بعد نصف العام، أُجريت مناقشة بين رئيس المدرسة ووالدة يو مين هونغ، بشأن تعيينه مدرسًا في مدرسة هوتشياو الإعدادية. بناء على طلب

نائب رئيس المدرسة المتكرر، فما كان لوالدته أن ترفض هذه المرة، ووافقت على مضض.

بعد مذاكرته ومراجعته لمدة عشرة أشهر، التحق يو مين هونغ بامتحان قبول الجامعة عام 1978. وقضى يو مين هونغ شهرين بالمنزل، ولم يكن قد تسلم خطاب قبول الجامعة بعدُ، على الرغم من أن كثيرًا من الجامعات، بدأت الفصل الدراسي الجديد، حيث فاتته فرصة القبول بالجامعة بفارق 5 درجات.

لم يجلب هذا الإخفاق صدمة شديدة ليو مين هونغ؛ فهو ليس لديه رغبة شديدة في التنافس؛ لذلك يمكنه تقبل هذه النتيجة. أصبح يو سائقًا للجرارات الزراعية، ولكن كان هذا العمل شاقًّا جدًّا بالنسبة له؛ فقد كان هزيل البنيان.

شعرت أمه لي با مي بالأسى لرؤيته في هذه الحالة؛ لذلك قررت أمه بأن تجعله يبدأ في المراجعة للالتحاق بالامتحان مرة أخرى.

لم يمر الكثير من الوقت، وسرعان ما جاء الامتحان بما لا تشتهي الأنفس، فقد كانت نتيجة الامتحان محبطة ليو مين هونغ، وجعلته يرى المستقبل غامضًا.

هذه المرة لم يمر الامتحان على يو مين هونغ بسلام، فقد أصابته صدمة كبيرة، جعلته يجلس وحيدًا في غرفته طوال اليوم دون أن ينبس ببنت شفة.

بعد عدة أيام – بعد تخلص يو مين هونغ من كل المشاعر السلبية – تحدثت معه أمه قائلة: "لقد بذلت كل جهدك في هذا الامتحان، فقد كنت تذاكر وتستعد له، وفي الوقت نفسه تعمل بالتدريس، وكان هذا أمرًا شاقًّا عليك؛ لذلك لا تحمل نفسك أكثر من اللازم. إذا أخفقت في فعل الشيء أول مرة، فلا داعي لليأس؛ فلا زالت لديك العديد من الفرص. إذا واصلت في المذاكرة بجد واجتهاد ستلتحق بجامعة جيدة في العام المقبل. فقط استعد للامتحان جيدًا، وشارك فيه العام القادم".

فاستمر يو مين هونغ في رحلته في الدراسة والتدريس.

**المدرس الخاص الحزين:**

في خريف عام 1979، كانت أول مرة ليو مين هونغ يخطو داخل مدرسة هو تشياو الإعدادية مدرسًا خاصًّا بديلًا بها.

بالرغم من صغر بلدة هو تشياو، ولكنها كانت تتميز بمناخ بيئي رائع. يتمتع المدرس – في ظل هذا الجو المفعم بالثقافة – بمكانة عالية؛ لذلك عاش هناك يو مين هونغ حياة منعمة.

تعود يو مين هونغ تدريجيًّا على حياته مدرسًا بديلًا. عام تلو العام، نسي يو مين هونغ كل طموحاته وأحلامه، وبدأ يتقبل تدريجيًّا هويته في هذه البلدة الصغيرة مربيًا للأجيال.

شي شينغ تساي هو مدرس اللغة الصينية، ويسكن مع يو مين هونغ في الغرفة نفسها، وكانت تربطهم علاقة جيدة. في منتصف الليل، كان شي شينغ تساي يرى يو مين هونغ - بعد تحضير الدروس - يترك قلمه بهدوء، ويتطلع من النافذة إلى السماء الواسعة، غارقًا في التفكير، ويتنهد تنهيدة خفيفة، تحمل في طياتها الكثير من الآمال والطموحات التي يفهمها ويشعر بها زميله في الغرفة؛ لأنه كان مثله تمامًا.

فقرر شي شينغ ساي أن يذهب لمقابلة والدي يو مين هونغ، والتحدث معهما.

في ليلة من ليالي الريف الهادئة، بدأ شي شينغ تساي حديثه عن أحلام الشباب الضائعة، ومنها انتقل إلى الحديث عن شباب يو مين هونغ، وفرصته الثمينة التي لا تعوض، ومستقبله الذي لا حدود له، ويجب ألا يضيع منه أي وقت. كل جملة قالها كانت توافقه عليها والدة يو مين هونغ. أما يو مين هونغ نفسه فقد أشعلت كلمات رفيق غرفته نيران الحماسة داخله؛ فطموحاته وأحلامه التي اعتبرها مجرد ماضٍ، أصبحت لامعة كالنجوم تتلألأ أمام عينيه.

قالت أم يو مين هونغ كلمتها الأخيرة، في أن يلتحق يو مين هونغ بامتحان الثانوية العامة للمرة الثالثة، وكان هذا الامتحان هو السبب الذي أخرج يو مين هونغ من الريف.

**الحب الأول في سنوات الشباب النضرة:**

في خريف عام 1979، كانت فرصة الالتحاق بامتحان الثانوية عامة محدودة للغاية، كان أول أربعين طالبًا فقط هم الذين من حقهم الالتحاق بالامتحان، ولم يكن يو مين هونغ من هؤلاء الطلاب. ولكن تفانت أمه في بذل كل جهودها في التأثير على المعلم لتقتنص قبول قيده في هذا الامتحان، وقد نجحت في هذا.

التحق يو مين هونغ بفصل اللغة الإنجليزية بمدرسة جيانغ ين، وقد أدرك حينها أن هذه هي آخر فرصة له لدخول الامتحان، ويجب أن يبذل كل جهوده لينجح فيه. وحدث ما لم يتوقعه، ففي هذا العام التقى يو مين هونغ بحبه الأول.

يو مين هونغ لا يتذكر التفاصيل دقيقة، ولكنه يتذكر هذه الفتاة التي تدعى بينغ. هذه الفتاة كانت ترى يو مين هونغ متميزًا ومختلفًا عن البقية.

وبعد طول انتظار، جاء اليوم الذي تسلم فيه رسالة غرامية من بينغ. على الرغم من معرفته بمشاعر هذه الفتاة التي ترعرعت في الريف مثله،

ولكنه تفاجأ كثيرًا منذ أن تسلم هذا الخطاب. بينما كانت كلمات بينغ تدل على سعادتها التي تزدهر أوراقها بخيالها، ولكن يو مين هونغ كان يساوره بعض القلق كلما أمسك هذا الخطاب بين يديه.

انتابه التردد، فأخذ ينظر فقط إلى الرسالة في ذهول، ولكن فجأة قام أحد زملائه الأشقياء بخطف الرسالة منه، وقام بقراءتها على مسمع كل الفصل، وأخذت ضحكات أصدقائه تتعالى دون توقف.

فقدت بينغ ثقتها بنفسها، واحمر وجه يو مين هونغ خجلًا. بعد هذه الواقعة ظل يلوم نفسه مرارًا وتكرارًا؛ فهو لم يخبئ الرسالة جيدًا، ولم تكن هناك فرصة للرد، وقد تسبب هذا في جرح شعور أحد الأشخاص .. تمنى يو مين هونغ في هذه اللحظة أن تنشق الأرض، ويستطيع الاختباء بداخلها من شدة خجله.

اعتاد يو مين هونغ الجلوس صامتًا في الفصل؛ فقد فات أوان الندم، وكان في صمته يسترق النظرات تارة إلى بينغ وتارة أخرى إلى جانبه. في الواقع، كان قلب يو مين هونغ منذ فترة ينبض بحب فتاة أخرى، تدعى رن هونغ، وهي تجلس بجانبه على المنضدة نفسها.

كانت ظروف حياة رن هونغ قاسية بعض الشيء، فقد انفصل والداها وهي في مقتبل العمر، وتركها والدها لتواجه هي وأمها الحياة وصعابها.

عندما عرف يو مين هونغ بما حدث معها، لم يستطع مواساتها وبث الطمأنينة في نفسها، فكان متحيرًا: هل يجب عليه أن يلزم الصمت ويواصل اجتهاده في الدراسة؟ أم عليه أن يتجرأ ويأخذ خطوة ويذهب ليمسك بيدها ويشعرها بوجوده بجانبها؟

بعد تغير ظروف حياتها رأسًا على عقب، أصبحت رن هونغ صامتة دائمًا، فلم تعد هذه الفتاة المتفائلة النشيطة التي لم تكن تفارقها البسمة. فازداد صمتها يومًا بعد يوم؛ وكأنها تريد أن تعطي لنفسها بعض الوقت للتفكير فيما حدث، وتحاول تفهمه، أو أنها تستسلم للحظات شرودها.

كانت اللحظات الوحيدة التي تشعر فيها رن هونغ بالأمان والدفء، هي التي يجلس فيها يو مين هونغ بجانبها. لم يكن واضحًا ليو مين هونغ أن الفتاة التي يحبها في صمت، مهتمة به هي الأخرى.

رن هونغ كانت مثل الطفلة الضائعة التي تستمد قوتها من مجرد النظر إلى يو مين هونغ، كان هو الذي يساعدها في مواجهة الحياة التي تنتظرها بعد عودتها كل يوم إلى المنزل، تلك الحياة التي اختفى منها والدها، وكانت فيها والدتها مشغولة دائمًا، باهتة الملامح، تذهب للبحث عن لقمة العيش يوميًّا.

**ولكن لا تدوم السعادة دائمًا :**

بعد إعلان النتائج، كانت رن هونغ هي الراسبة الوحيدة في الامتحان؛ لذلك اضطرت لدخول الامتحان في العالم التالي، واستطاعت الالتحاق بمعهد المعلمين بالبلدة نفسها.

استطاع يو مين هونغ الالتحاق بجامعة بكين؛ لذلك أصبح محط أنظار الجميع.

استلقى الاثنان أرضًا تحت ظلال الشجر ووسط هبات النسيم، كانت رن هونغ تُذكر نفسها أن توصي يو مين هونغ أن يحافظ على سلامته طوال الطريق، وأن يعتني بنفسه، ولا يهمل صحته أبدًا، وأشياء من هذا القبيل. في كل مرة تسري ضحكات يو مين هونغ الرنانة في آذانها، كان تفكيرها يزداد ارتباكًا. كان يحاول أن يعطيها بعض الوعود، وأن يحتضنها بنظراته الدافئة، ولكنها كل مرة كانت تقاطع كلامه وتغير الموضوع.

لم يكن يتوقع يو مين هونغ أن هذه السنة، وكل ما مر بها من أحداث وذكريات، أصبحت عبارة عن أسرار لا يجوز أن تحكى.

أدركت رن هونغ - مع الوقت - أن يو مين هونغ السابق لن يعود أبدًا.

بالرغم من مغادرة يو مين هونغ للقرية، ولكنه لم ينسَ رن هونغ، بل كان يكتب لها الرسائل يوميًّا، يحكي لها عن حياته اليومية بكل تفاصيلها. كانت الرسالة تلو الأخرى تُشعر رن هونغ بتغير يو مين هونغ لشخص آخر غير الذي تحبه، ذهابه إلى بكين جعل مستقبله لامعًا، لا تستطيع أن تتنفس تحت شبحه. كان من قبل يسبقها بخطوة فقط، لكنها لم تستطع اللحاق به.

مرت السنوات، كان لا يزال يو مين هونغ يغني باستمرار أغنية "زميلتي في الطاولة الواحدة". هذه الأغنية كانت تذكره بهذا الحب، الذي كان يعتقد – من وجهة نظره – أنه حبه الأول، ولكنه ليس بالحب الحقيقي، ولكن كل هذا أصبح مجرد ذكريات دفينة.

**أفضل وأسوأ ما في جامعة بكين:**

عام 1980، حقق يو مين هونغ آماله التي طالما حلم بالوصول إليها، وهي الالتحاق بجامعة بكين، الجامعة الأولى في الصين. ظلت الاحتفالات والأفراح قائمة في بيته طوال الصيف؛ احتفالًا بيو مين هونغ، وقامت أمه بإعداد الموائد الكبيرة للقرية كلها.

أول يوم بالجامعة، تركت المناظر الطبيعية الخلابة وغيرها من الأشياء داخل الحرم الجامعي أثرًا عميقًا لا يُنسى في نفس يو مين هونغ. عندما

ذهب للتسجيل بالسكن الجامعي، حمل على كتفيه طبق الغسيل واللحاف والكثير من احتياجاته اليومية؛ مما جعل رفقاء غرفته ينظرون له باندهاش، وأخذوا يسخرون منه قائلين: "لم نبدأ الدراسة بعدُ وجاء مندوب المبيعات"، وهذه كانت أول مزحة يتعرض لها في جامعة بكين.

عندما ذهب يو مين هونغ لمطعم الجامعة لأول مرة، وجد الطلبة يأكلون عصيدة دقيق الذرة .. تعجب يو مين هونغ كثيرًا؛ فهذا الطعام في بلدته يُقدم للخنازير، كيف يُقدم هنا في مطعم جامعة بكين؟ أدرك – فيما بعد – أن هناك فجوة كبيرة بينه وبين جامعة بكين.

شعور يو مين هونغ كان في محله، فالحياة في جامعة بكين لن تكون مليئة بالبهجة والسرور فحسب، بل كانت الكثير من المفاجآت في انتظار هذا الشاب الريفي.

ذات يوم عندما دخل يو مين هونغ غرفة المسكن بكل سرور، كان يقرأ أحد زملائه كتابًا. ويعتقد يو مين هونغ أنه قرأ الكثير من الكتب، فسأله اعتباطًا: "ماذا تقرأ؟"

"((ألمانيا النازية: النهوض والسقوط))".

"لماذا تقرأ هذا النوع من الكتب وأنت متخصص في اللغة الإنجليزية؟" .. سأله يو مين هونغ بحيرة؛ فهو ما زال يثق بنفسه

وبمعلوماته لمجرد نجاحه في امتحان اللغة الإنجليزية وامتحان الثانوية العامة، أو ربما أنه ما زال يفتخر بلقبه في القرية: "المثقف الكبير".

نظر زميل يو مين هونغ إليه نظرة تعالٍ وكبرياء، ثم واصل قراءة الكتاب دون أن يبالي.

شعر يو مين هونغ بالحزن بسبب المعاملة التي عاملها له زميله. ولأنه ذلك الشاب الذي لا يقبل هذه المعاملة والإهانة، فقرر الذهاب إلى المكتبة وشراء سلسلة ((ألمانيا النازية: النهوض والسقوط)). بعد الانتهاء من قراءتها لم يشعر بروعة أو تميز هذا الكتاب، ولكنه أعاد قراءته ثلاث مرات. بعد عدة سنوات، كان يقوم يو مين هونغ ببيع أو التخلص من الكتب، ولكن هذا الكتاب الوحيد الذي كان يتركه دائمًا على الرف؛ ليكون ذكرى أو حافزًا له.

إذا اعتبرنا أن كتاب ((ألمانيا النازية: النهوض والسقوط)) هو أول صدمة ليو مين هونغ بعد التحاقه بجامعة بكين، فماذا عن ما لم يكن يتوقعه، وهو أن مستواه في اللغة الإنجليزية الذي كان يتفاخر به دائمًا، أصبح حجر عثرة في طريقه.

النظام التعليمي الذي تلقاه يو مين هونغ منذ الصغر كان تعليميًا تطبيقيًا؛ يهدف فقط إلى النجاح في الامتحان، وعلى الرغم من أن نتيجته

كانت رائعة في الامتحانات التحريرية، لكنه لم يتلقَ نظام تعليم رسمي من قبل، والأكثر أنه حينما تعلم اللغة الإنجليزية، كان ينصب اهتمامه على الامتحان، ويهمل الاستماع والمحادثة، وهذا يتعارض كليًّا مع هدف دراسة اللغة الإنجليزية.

لذلك كانت أصعب مادة بالنسبة إلى يو مين هونغ في قسم اللغة الإنجليزية هي الاستماع والمحادثة.

لم يكن إلقاء الكلمة في المحاضرة بالنسبة ليو مين هونغ مصيبة لا مفر منها، بقدر ما كانت صدمة شديدة له. فثقته بنفسه التي وصلت إلى أقصى حد مع نتيجة الامتحان المتميزة، تلاشت بمجرد أن بدأ التحدث، بل انعدمت تمامًا. ولم يكن بوسع المعلم سوى الاستماع إليه، وبعد الانتهاء من حديثه، توجه الأستاذ إلى يو مين هونغ قائلًا: "أعتقد أنك من بين كل حديثنا لم تفهم إلا ثلاث كلمات فقط، وهي (يو مين هونغ)".

إن الإرادة هي أساس كل المعجزات .. بدأ يو مين هونغ التدرب على الاستماع إلى اللغة الإنجليزية بكل جنون، واستعان في هذه المهمة بأداة بسيطة جدًّا – راديو صغير الحجم.

ومنذ ذلك الوقت، أصبح يو مين هونغ يوميًّا – في غير أوقات الأكل والنوم – يحمل الراديو بكل تبجيل، ويأخذه في كل مكان، ويستمع إلى الراديو باللغة الإنجليزية ليلًا ونهارًا، وتنتابه بعض من المشاعر المأساوية.

بعد عدة سنوات، استرجع يو مين هونغ تلك السنوات الشاقة، وتنهد قائلًا: "يشبهني زملائي أني حينما أستمع للغة الإنجليزية أكون كالذئب ذي العينين الزرقاوين الجائع، الذي ينظر إلى فريسته بكل شراسة".

أدرك يو مين هونغ – مع الوقت – أن نقطة ضعفه التي تحول بينه وبين تحسن مستواه في اللغة الإنجليزية هي قلة المفردات اللغوية؛ لذلك ترك الراديو جانبًا، وحمل كتاب المفردات، وبدأ يبذل جهوده من أجل حفظ كم كبير من الكلمات والمفردات.

بعد الكثير من الجد والاجتهاد اليومي، بدأت تتجلى نتيجة استخدامه للراديو وكتاب المفردات، وبدأ يجني ثمار تعبه ومعاناته، فكما يقال في الأمثال: "من جد وجد، ومن زرع حصد" .. هذا النجاح جعل يو مين هونغ يشعر فجأة بنشوة الإنجاز.

بعد فترة، أدرك يو مين هونغ أنه بعد التدريب المتميز، أصبح يعرف عددًا لا حصر له من الكلمات، حتى أنه أصبح يعرف معاني نادرة لعدد لا بأس به من الكلمات، حتى أطلق عليه لقب القاموس الحي، وحاز على إعجاب وتقدير كل الأساتذة.

بدأ يو مين هونغ ينهمك في الكلمات والنحو والمطالعة التي تعتمد جميعًا على حفظ الكلمات، والتي كان لها تأثير فعال وسريع. كان يشعر يو

مين هونغ هذه المرة وكأنه يجري على مضمار سباق؛ من أجل أن يتحصل على لقب "خبير اللغة الإنجليزية"، لذلك منذ أن بدأ السباق ويو مين هونغ يجري بكل عزيمته حتى استطاع الاقتراب من النهاية.

لأنهم يتخذون يو مين هونغ قدوة لهم، فقد بدأت تظهر المواهب المتنوعة للغة الإنجليزية بين زملائه؛ منهم من يجيد النطق الدقيق، ومنهم من يكتب بكل انسيابية وحرفية، ومنهم من يتحدث الإنجليزية بطلاقة، وكذلك منهم من يستطيع مطالعة الكتب الإنجليزية بكل سهولة وبسرعة فائقة. كان يو مين هونغ يحتفظ بلقب "القاموس الحي"، وأصبح مستواه متميزًا، حتى أصبح يتنافس مع زملائه.

مع مرور الزمن، اعتاد يو مين هونغ السير على ضفاف بحيرة ويمينغ في الجامعة، حاملًا قاموس اللغة الإنجليزية على صدره، وكان كل زملائه الضعفاء في اللغة الإنجليزية يبغضون هذه العادة. وكان يحتضن إنجازاته، ويتمتع بالمنظر الجميل لأمواج البحيرة المتلاطمة في وقت الغروب؛ فهذه متعة من متع الحياة.

لسوء الحظ، أصيب يو مين هونغ بالسل الرئوي في الفصل الأول من العام الدراسي الثالث، اضطر بعدها للتوقف عن الدراسة لمدة سنة ليستريح. عندما سمع يو مين هونغ بهذا الخبر، شعر بشيء من الجهل،

فكيف بعد أن بذل كل هذه المجهودات واستطاع الحصول على هذا اللقب، كيف سيترك كل هذا ليستريح في البيت لمدة عام. وظل يفكر كم سيحتاج من الوقت للنضال والاجتهاد حتى يلحق أصدقاءه، الذين سيتحسن مستواهم بالتأكيد بعد هذا العام.

ولكن عندما بدأ التفكير بهدوء، أدرك أن السماء رحيمة. فهذه السنة يمكن أن يستغلها في العديد من الأشياء؛ فهو يستطيع الآن مطالعة العديد من الكتب المفيدة بدلًا من الكتب الدراسية بشكل مؤقت.

كانت مكتبة جامعة بكين مليئة بالكتب التي تشبع روح يو مين هونغ. خلال سنة واحدة، قرأ أكثر من ستمائة كتاب، فكان يقرأ بمعدل كتابين كل يوم، طالع 60٪ أو 70٪ من الكتب الأدبية والتاريخية الكلاسيكية في الصين.

الكتب لا تقدم مهارات فقط، لا يكتفي يو مين هونغ بأداة الاتصال اللغوية فقط في فترة الجامعة، ما يحتاج إليه هو نوع من التواصل الروحي، الذي هو أعمق من المهارات التي تقدمها الكتب، مثل الحكمة والذكاء والاستقلالية والتفكير.

يقول مين هونغ في خطابه: "خلال السنوات الخمس دراسة في جامعة بكين، لم تحبني ولا فتاة واحدة". فهو يتمتع ببعض المزايا التي جعلت منه

شخصًا ناجحًا، ولكنها لم تكن مرضية بالنسبة له، مثل الوحدة والصبر والمثابرة. كان يصف حاجته للحب بقوله: "إنه على استعداد أن يهرع لأي فتاة تصادفه"، على الرغم من أنه كان يبالغ في الكلام بعض الشيء، إلا أن كلامه لا يخلو من السخرية الذاتية.

شاب ريفي جاء للدراسة في جامعة بكين، لا يستطيع التحدث باللغة الصينية الفصحى، ولا يستطيع الغناء أو حتى العزف على أي آلة موسيقية، فقد كان مستواه أضعف من طفل ترعرع في المدينة من حيث الأداء أو المعرفة. هذه العوامل البيئية "الفطرية" أثرت في طفولته، ولن يستطيع - بحياته المنعزلة عن المجتمع خلال سنوات الجامعة القصيرة - إزالة آثارها واللحاق بالركب.

بسبب إحساسه بالنقص، لم يجرؤ أبدًا على إظهار حبه لأي فتاة، ولم يستطع الاستمتاع برومانسية وجمال الحب؛ وبسبب إحساسه بالنقص أيضًا قضى أكثر الأوقات في تعلم اللغة الإنجليزية والمطالعة .. قلما اشترك في الأنشطة الجماعية، ولم يكن لديه العديد من الأصدقاء. لذلك خلال أيام الجامعة كان يو مين هونغ يرى نفسه مهمشًا.

إذا نظرنا لموضوع تهميش يو مين هونغ أيام الجامعة بموضوعية، فسنجد أنه كان السبب القوي الذي جعله يحاول خلال هذه الحياة الرتيبة

تحقيق رغبته الشديدة في النجاح والتفوق على الآخرين؛ فقد كان يبحث دائمًا عن المخرج.

والأهم من ذلك، أنه لم يفقد ثقته بنفسه، فأصبح يتبع عاداته ليحول شعوره بالنقص إلى نقطة قوة وإصرار. فجنونه وولعه بالإنجليزية، وبذله لكل ما في وسعه من أجل دراستها، جعله مستعدًّا لمواجهة المجتمع.

في عام 1985، تخرج يو مين هونغ من الجامعة، وأصبح مدرسًا بجامعة بكين. أسكنته الجامعة بقبو مساحته ثمانية أمتار. وقد كانت أنابيب الصرف لكل المبنى تمر عبره، فكان يسمع صوت تدفق المياه أربعًا وعشرين ساعة في اليوم دون توقف.

بعد أربع سنوات، أسكنته الجامعة في غرفة مساحتها عشرة أمتار، فانتقل من القبو إلى المسكن نفسه. حينها شعر يو مين هونغ بالإثارة والحماسة، وعقد النية على المساهمة طوال حياته في العمل بجامعة بكين وتكريس حياته من أجل مهنة التدريس المجيدة.

وبالرغم من أنه أصبح أستاذًا بالجامعة، ولكنه ما زال لا يستطيع التعامل مع الناس. على الرغم أن الطلبة كانت تتقبل أسلوبه المرح الفكاهي، ولكن لم يكن يعيره الأساتذة أي انتباه. خلال نهاية ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن العشرين، كانت تلك الفترة هي أول فترة للسماح

بالسفر إلى الخارج بعد تنفيذ سياسة الإصلاح والانفتاح، والسفر إلى الخارج حينها اعتبر رمزًا لرفعة المكانة في المجتمع، وإشارة على النجاح. وفي أثناء استمتاعه بغرفته ذات العشرة أمتار، سافر عدد ليس بالكثير من أصدقائه إلى الخارج، واستنشقوا العبير الساحر بالخارج.

"بعد فترة من الوقت، لاحظت أني لم أرَ بعض الأصدقاء من مدة، ثم تلقيت خطابًا بريديًّا من خارج الصين، وحينها عرفت أنهم قد سافروا إلى أمريكا الشمالية" .. استرجع يو مين هونغ الذكريات.

**كم هو بعيد طريق السفر للخارج!:**

في مساء 26 مارس عام 1986، استطاع يو مين هونغ أن ينهي حياة الوحدة. فبمساعدة شمعة، خط يو مين هونغ أخيرًا نقطة انتهاء حياته الجامعية غير الناجحة.

"إن الدور العظيم للمرأة بعد الزواج لا يكمن في تقدمها، ولكنه يكمن في مساعدتها لزوجها بأن يتقدم أو أن يفشل" .. تحت ضغط زوجته وتوبيخها له بأنه "عديم الفائدة"، نجح يو مين هونغ عام 1988 في امتحاني TOEFL وGRE. على الرغم أن النتيجة لم تكن عالية، ولكنه استطاع فتح باب الأمل للسفر خارج الصين.

ولكن فجأة، غيرت أمريكا سياستها للوافدين الصينيين، وقامت بخفض أعدادهم. بعد عامين، تقلص عدد الطلبة المسافرين إلى أمريكا إلى حد كبير، وتضاءل معهم أمل يو مين هونغ في السفر إلى هناك.

عام 1992، تلقى أخيرًا خطابات قبول من جامعات أمريكية مختلفة، ولكن كلها لم تكن تقدم منحًا دراسية. في هذا الوقت كانت رسوم الدراسة في الجامعات الأمريكية تبلغ 20 ألف دولار على الأقل. وفقًا لسعر الصرف في ذلك الوقت، 20 ألف دولار تساوي 120 ألف يوان، وبالنسبة لشخص مثل يو مين هونغ يقبض شهريًّا 120 يوانًا، كان هذا المبلغ خياليًّا.

بعد ذلك، جاءت فرصته المنتظرة أخيرًا، وافقت جامعة أمريكية من المستوى الثاني على تقديم منحة دراسية له، تشتمل على 3 / 4 من مصاريف الدراسة. على الرغم من أن الجامعة ستتكفل بجزء كبير من الرسوم الدراسية، إلا أن المبلغ المتبقي من 1 / 4 مصاريف المنحة هو 5000 دولار، فعليه أن يدفعها، ولكن هذا المبلغ ظل بالنسبة لمرتبه الضعيف مبلغًا كبيرًا. بالنسبة لمدرس عادي؛ فهو في أحسن الأحوال يتقن لغة، وبالإضافة إلى معرفته بالتجارة، فكيف سيستطيع سداد هذه المصاريف؟

لذلك أقام يو مين هونغ مع زملائه دورة تدريبية لامتحان TOEFL خارج الجامعة لكسب رسوم الدراسة في أمريكا.

في تلك الفترة، مع ازدياد العدد الهائل للصينيين الراغبين في السفر للخارج ليصبح كالبحر الهائج، ظهر في شوارع بكين عدد كبير من الدورات التدريبية لامتحان TOEFL وGRE.

في ذلك الوقت، كانت كثير من الدورات التدريبية الصغيرة تستقدم أساتذة اللغة الإنجليزية بجامعة بكين مثل يو مين هونغ، وأعلنت عن دورتها باسم جامعة بكين، ويو مين هونغ قام بفتح دورة أيضًا تحت اسم جامعة بكين. ولأن جامعة كبيرة وعريقة مثل جامعة بكين يجب أن تهتم بسمعتها، استصدرت أحكامًا قانونية لمنع هذه الأفعال، ومنع من هم مثل يو مين هونغ.

ولكن يو مين هونغ لم يلقِ بالًا لهذا.

في خريف عام 1990، أعلن مكتب الدعاية بالجامعة - عبر مكبر الصوت - عقاب يو مين هونغ، لإقامته دورات تدريبية باسم جامعة بكين، وبذلك أثر على نظم التدريس، وكانت نتيجة العقاب هي تسجيل ارتكاب يو مين هونغ ذنبًا خطيرًا.

لم يكن يو مين هونغ قد هيأ نفسه فكريًّا لمثل هذا العقاب، فالجامعة لم تمهد له من قبل. كان هذا النقد العام القاسي كالرعد الذي أحدث الذعر في نفس يو مين هونغ، ومن شدة تأثير الصدمة لم يكن له حول ولا قوة.

ما لم يكن يتوقعه يو مين هونغ أبدًا، هو أنه بعد صمته طوال هذه السنوات، استطاع فجأة أن يأخذ قرارًا مدهشًا بهذه الطريقة.

من أجل حفظ ماء وجهه، في سبتمبر عام 1991، قرر يو مين هونغ قرارًا أدهش كل من يحيطون به من أهل وأصدقاء، بقرار استقالته غير المتوقع من منصبه في جامعة بكين.

إن اعتراف يو مين هونغ بالنقص لم يتنافَ مع احترامه لذاته، بالعكس، فهو بحاجة للمزيد من الاحترام. بعد تنفيذ العقاب على يو مين هونغ، أصبح في لحظة منفيا من جامعة بكين، وهجره كل من حوله. وبهذه النهاية ودّع جامعة بكين التي بقي فيها أحد عشر عامًا، وترك قضيته التعليمية. رحل من جامعة بكين يجر أذيال الخيبة، وأصبحت حياة يو مين هونغ كريشة في مهب الريح، محفوفة بالمخاطر، وقد تملكت الوحدة والاكتئاب واليأس منه.

***